علي أحمد باكثير وإتجاهه الإسلامي في مسرحياته

د. إرشاد أحمد واني الندوي*

نبذة عن حياة باكثير(١٩١٠-١٩٦٩م)

قد شاهد هذا العالم عبقريات فذة ظهرت على أفقه في أدوار مختلفة تركوا آثارا واضحة في صفحات التاريخ حيث ظهرت أسمائهم بأحرف ذهبية، ولا تزال الألسنة تذكرهم بدورهم البارز، وأدام هؤلاء العبقريات والشخصيات الفذة إنتاجهم الأدبي وآثارهم القيمة في مجال العلم والأدب والفن التي لا تزال تتلألأ على صفحات التاريخ ويستفيد منها العالم إلى عصر طويل. ومن هؤلاء الشخصيات الفذة علي بن أحمد بن محمد باكثير الكندي(١٩١٠-١٩٦٩م) الذي يعتبر علما من أعلام الكتاب في الأدب العربي الحديث بتعدد الموضوعات وشمولها بكافة جوانب الإبداع والإنتاج والعمل بحيث تنوعت آثاره بين فنون الأدب المختلفة من مسرحية شعرية ونثرية ورواية وقصص قصيرة.

ولد علي أحمد باكثير في مدينة سوروبايا بإندونيسيا لأبوين عربيين من حضرموت باليمن. وحين بلغ العاشرة من عمره سافر به أبوه إلى حضرموت لينشأ هناك نشأة عربية إسلامية وهناك تلقى دراسته في مدرسة النهضة العلمية ودرس علوم العربية والشريعة على الأساتذة الكبار بحيث ظهرت مواهبه مبكرا فنظم الشعر وهو في الثالثة عشرة من عمره، وتولّى التدريس في مدرسة النهضة العلمية وإدارتها وهو دون العشرين من عمره. وتزوج باكثير في أوائل عمره ولكنه فوجع بوفاة زوجته في غضارة الشباب فغادر حضرموت حوالي ١٩٣١م ثم وتوجه إلى عدن ومنها إلى الصومال والحبشة واستقر زمنا في الحجار حيث كتب قصيدة "ذكرى محمد" المدحية وأولّ مسرحيته الشعرية "همام أوفى بلاد الأحقاف". وصل باكثير إلى مصر سنة ١٩٣٤م والتحق

---

* المحاضر التعاقدي، في كلية سوجام الحكومية لولاب كفواره كشمير

بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليا) حيث حصل على الليسانس في الآداب قسم اللغة الإنجليزية عام ١٩٣٩م ثم التحق بمعهد التربية للمعلمين وحصل منه على الدبلوم سنة ١٩٤٠م. ثم اشتغل بالتدريس خمسة عشر عاما منها عشرة أعوام بالمنصورة، ثم انتقل إلى القاهرة. وفي عام ١٩٥٥م انتقل للعمل في وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصلحة الفنون وقت إنشائها وكتب عددا من المسرحيات والروايات والقصص ونال بها عددا من الجوائز والأوسمة حتى توفي سنة ١٩٦٩م.[١]

اتجاهه الإسلامي

إن علي أحمد باكثير يعد رائدا من رواد الفكر الإسلامي والقصة الإسلامية، وعلما من أعلام الأدب الإسلامي. لأنه نشأ نشأة إسلامية منذ نعومة أظفاره حيث ولد في إندونيسيا في أسرة محافظة ملتزمة ومتمسكة بأقدار الإسلام وأصوله. ثم تلقى بحضرموت العلوم الإسلامية والشرعية في المعاهد الدينية وحفظ القرآن الكريم ودرس الإسلام من ينابيعه الأصلية دراسة عميقة، وفي الحقيقة أنه كان يريد في البداية أن يكون فقيها وقاضيا وعالما كعمه محمد بن محمد باكثير حسب رواية نجيب الكيلاني حكى عن باكثير قائلا "أنه كان يريد في بداية حياته أن يكون من رجال الحديث فأخذ علم الحديث وروايته ومراتبه وقطع في هذا المضمار شوطا بعيد المدى، لكن الأقدار أرادت له أن يتجه صوب الأدب"[٢] فهكذا حالت رغبته وموهبته الأدبية بينه وبين أمنيته حتى نال مقاما مهما في مجال الأدب الإسلامي ونواحيه المختلفة.

قد تفرّد علي أحمد باكثير في طرح التصور الإسلامي من خلال رواياته ومسرحياته وقصصه. وقد كان بحسه الثقافي ووجدانه القومي من أقدر كتابنا الذين فهموا التصور الإسلامي فهما يتجاوز مرحلة التسجيل التاريخي للأحداث إلى مرحلة التفسير والتحليل والتنبؤ وفق منهج الإسلام وأصوله الجوهرية[٣] وخير مثالها "ملحمة عمر" التي هي من أهم أعمال باكثير المسرحية، قد ألف المؤلف هذه الملحمة سنة ١٩٦١م. وهي من أهم آثاره المسرحية ومفخرة من مفاخره واستطاع فيها أن يقدم صورة سيرة الأمير المؤمنين عمر بن الخطاب الحية النابضة بالقوة والإيمان والصدق والعدالة والوفاء

والإيثار والتضحية. وقد تصور هذه الملحمة تلك الفتوحات الإسلامية التي نال بها المسلمون في عهده وتشتمل هذه الملحمة على تسع عشرة مسرحية منفصلة وقد يربطها خيط العمرية .

وكذلك نجد هذا التصور الإسلامي والفكر الإسلامي في معظم أعمال باكثير المسرحي والروائي والقصصي وغيرها حيث يتجلى اتجاهه الإسلامي والتزامه بالفكر الإسلامي في آثاره الشعرية والمسرحية والروائية بصورة واضحة، لأنه عاش للإسلام ولأجل الإسلام حتى كان بعض الأدباء والنقاد يغمزون نحوه في مجالس الأدب ومنتدياته ويقولون عنه في سخرية "إسلامستان" ولكن باكثير كان يقول إنه لشرف عظيم لى أن اتهم بالإسلامية فيما أقدمه من أدب.[٤] إن الموجه الرئيسي لباكثير في فنه الأدبي كانت عقيدته بالإسلام وقيمه وتصوراته الصائبة حتى استطاع أن يقدم لنا في مسرحياته ورواياته وقصصه القصيرة هذا الفكر الإسلامي ويجعله فلسفة لأدبه ومنهجا لحياته. فتعمق فيه تعمقا كبيرا ثم اتخذ مادة في معظم روايته ومسرحياته. وكان يفسر الأحداث تفسيرا إسلاميا ويهتم بمشاكل البلاد الإسلامية والعربية اهتماما كبيرا ويصور د. محمد مندور سلوكه هذا قائلا:

"إن باكثير مسلم عربي قبل كل شيئ وإذا كان قد جمع بعد ذلك الثقافة العربية وأطرافا من الثقافة الغربية بأنه ظل في جوهره أديبا إسلاميا، يهتم بمشاكل البلاد الإسلامية والعربية قدر اهتمامه بمشاكل الوطن الذي اختاره مستقرا نهائيا وهو مصر، كما ظل محور تفكيره إسلاميا عربيا وفلسفته إسلامية عربية".[٥]

هناك أرى من المناسب أن أشير إلى بعض مسرحيات باكثير وموضوعاتها والفكر والاتجاه الذي نجد فيها. وإذا نتكلم في هذا الصدد نجد أنه صاحب الفكر الإسلامي الخالص، لأنه قرأ على الأساتذة الكبار كانوا حاملين فكرا إسلاميا خالصا بحضرموت. ومن الطبيعي انتقل هذا الفكر إلى ذهن باكثير ثم ظاهره في كل إنتاجه المسرحي والروائي والقصصي وما إلى ذلك. بدأ باكثير حياته المسرحية من مسرحية

"همام في بلاد الأحقاف" سنة ١٩٣٣م أثناء إقامته في الطائف بعد أن اطلع على هذا الفن الجديد أول وهلة من حياته خلال دراسة مسرحيات أحمد شوقي. ومن حيث الموضوع تتعلق هذه المسرحية بموضوع اجتماعي، تلقي ضوء كاملا على أحوال الشعب الحضرمي الاجتماعية وبما يعاني هذا الشعب من اضطهاد الحكام والعلماء الجامدين المسيطرين على منابر الثقافة والعلم ومن الجهل والجمود العلمي والأوهام والخرافات والبدع والتخلف عن ميدان الحضارة والثقافة. ولا نبالغ إذ نقول إنها مرآة لحياة المجتمع الحضرمي غير أن هذه المسرحية تحمل فكر باكثير الإسلامي واتجاهه وحماسته وإيمانه بالدعوة إلى الإصلاح وترك العقائد الباطلة والأوهام والخرافات وغيرها حيث إننا نحس إحساسا عميقا أن المؤلف كان متأثرا فيها بفكر جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده وبمنهجهما في الدعوة إلى الله، وهذا يتضح من الأبيات التالية اتضاحا كاملا.

أنا لا أعرف إلا دعوة	(لجمال الدين) شقّت غُلفا
تندب الناس إلى دين الهدى	مثلما كان بعهد المصطفى
لا خرافات وأوهام، ولا	بدع تحسب فيه زلفا
تفتح العلم على أبوابه	في وجوه المسلمين الحنفا
ليكونوا سادة الدنيا-كما	وعد الله-عليها خُلفا
ولقد أيدّها تلميذه	"عبد" فيما دعا أو ألّفا
بث روح الحق في أتباعه	فغذوا فينا غيوثا وك فارا٦

ويظهر من دراسة هذه المسرحية وموضوعها أن باكثير كان يريد خلالها أن يوحّد شتات هذا الشعب الحضرمي ويجمعهم على الإسلام والدين الصافي مبتعدا عن التشتت والانتشار والانقسام بين الطبقات المختلفة ومبتعدا عن البدع والأوهام والخرافات وغيرها. وهكذا بذل باكثير كل ما في وسعه لوصول أفكاره الإسلامية إلى الشعب الحضرمي إيقاظا بهم من سبات الأوهام والخرافات والتخلف عن ميدان الثقافة والعلم. وتعتبر هذه المسرحية أول عمل أدبي لباكثير يعبّر عن خطته الإسلامية

والالتزام بها. وبعد رحيله إلى مصر لم يتوقف باكثير على موضوع مسرحي واحد طوال حياته بل ظلت هذه الموضوعات كلها تعود إليه جيئة وذَهُوْبَا. فالموضوعات الاجتماعية لم تقطعه عن الموضوعات السياسية أو عن العودة إلى التاريخ أو الأسطورة أو الإسلامية وما إلى ذلك. ولذلك نراه يتوجّه بعد ترجمة "روميو وجوليت" لشكسبير إلى مسرحية "إخناتون ونفرتيتى" التاريخية حيث استمد موضوعها من التاريخ الفرعوني.

فأحداث هذه المسرحية تتعلق بإخناتون وهو الفرعون المصري الوحيد الذي دعا إلى وحدانية الله وقام على تعدد الآلهة عند القدماء المصريين والذي تعتبر نقطة مضيئة في التاريخ الفرعوني. حاول باكثير فيها أن يفسر حياة إخناتون تفسيرا إسلاميا لأن دعوته في رأيه "دعوة الحب والسلام" توافق مع الإسلام وأصوله وفكر المؤلف أن المنهج الذي اختار إخناتون كان بعيدا عن فهم منهج الإسلام. فإنه لم يختر القوة والأسلحة على الخارجيين عن طاعته بل يرجّح الحب والسلام فقط، بحيث فشلت دعوته لأن دعوة الحق لا تستغني عن الدفاع بسيف العدل. بدأ باكثير هذه المسرحية بهذه الآية" ﴿ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك﴾.[٧]وبعد إتيان هذه الآية وهو يشير إلى أنه من المحتمل أن يكون إخناتون من الرسل الذين لم يقص الله علينا قصصهم [٨].لأنه وجد في دعوته فكرة التوحيد التي توافق مع مبادئ الإسلام وأصوله موافقة لا بأس بها.

إن علي أحمد باكثير تناول نفس الموضوعات في إنتاجه المسرحي التي تناولها الأدباء الآخرون غير أنه قدمّها من وجهة النظر الإسلامية مستمدا فيها فكرا إسلاميا وثقافية إسلامية وإذا كانت هذه الموضوعات بعيدة الصلة بتاريخ العرب والإسلام والمسلمين غير إنه صاغها في قوالب تتفق مع التصور الإسلامي عن الإنسان والحياة والكون، ومنها مسرحية "مأساة أوديب" التي تتعلق من حيث الموضوع بملك "أوديب" ومأساته الكبرى. إنها مسرحية وثنية في الموضوع والأصل ومعروفة في كل الشعوب، غير أن باكثير تناولها مصّدرا بهذه الآيات الكريمة، ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين.إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ [٩] وعالج

باكثير هذه المسرحية علاجا جديدا في ضوء هاتين الآيتين وموافقا مع فكره حيث إنه وصل إلى أن هذه النبوءة كاذبة اختلقها الكاهن الأكبر من نفسه، وأما المؤلف فجعلها من صنع الإنسان، وهذا الإنسان هو "لوكسياس" الذي أتبع خطوات الشيطان في إدارة الأحداث حسب نبوءته ليحقق ما يريد. وهكذا انطبقت أحداث المسرحية على هاتين الآيتين كل الانطباق. وهذا هو العلاج الجديد والطريق الجديد الذي اختار باكثير في هذه المسرحية وجعل هذه الأسطورة قريبة إلى العقل والمنطق وإلى مفهوم القضاء والقدر فكرا وموضوعا.

تناول علي أحمد باكثير مسرحية "هاروت وماروت" من حيث الموضوع والفكرة ما جاء في القرآن الكريم عن هاروت وماروت وعن بابل وسبب هلاكها. فالمسرحية توضح في موضوعها أن الله جعل الإنسان خليفة له في الأرض كما تفسر ما جاء في القصص القديمة عن بابل وسبب هلاكها. وإن المؤلف أدخل في موضوع هذه المسرحية فكرة الإنسان المتطور والصاعد الذي يتسيطر يوما على شرور نفسه فيقيم العدل والسلام على منصة الأرض، وهكذا تشير المسرحية في موضوعها إلى رُقّ الإنسان بعلومه وفنونه حتى أنه يغزو الأجرام السماوية ثم يعيش فيها بفضل الله ما أهداه الله إليه من معرفة. وعلى هذه الموضوعات كلها يناقش باكثير في هذه المسرحية. [١٠] تتضح هذه الفكرة مزيدا من هذا الحوار الذي يدور بين هرمس وماروت.

هرمس: ألم يخلق الله الإنسان على صورته؟

ماروت: بلى.

هرمس: ألم يجعله خليفة له؟

ماروت: بلى.

هرمس: ألم يأمركم بالسجود لآدم، فسجدتم له أجمعين إلاّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين.

ماروت: بلى.

هرمس: فإن لله حكمة في كل ما قضى، وما من شيئ خلقه الله باطلا، ولا من أمر

قضاه عبثا، وإن في ذلك لآية لقوم يتفكرون.[١١].

يتضح لنا من الحوار السابق أن المؤلف يستخدم فيها العبارات والألفاظ والتراكيب القرآنية التي تشير إلى تأثيره بالقرآن الكريم. وهناك مسرحيته باسم "فاوست الجديد" في ضمن الأسطورة من أساطير النهضة الأوربية الحديثة حيث يستمد موضوعها من مسرحية "فاوست" لجوته (**Goethe**) الكاتب الألماني في الإطار العام، فغيّر فيها بعض تغيرات وحذف منها بعض العناصر الخرافية وجعلها متلائمة مع فكره الإسلامي. وقد أتى المؤلف في بدايتها هذه الآية﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ﴾[١٢] مصورا شخصيتها الرئيسية في ضوء الآية الكريمة المذكورة. ويظهر من دراسة المسرحية الأسطورية المذكورة أن باكثير عبّر فيها عن فكره الإسلامي ورؤيته وعقائده الإسلامية دون أنه لم يستخدم فيها كلمة الإسلام. وذلك لأنه كان يريد أن يرسخ في ذهن القارئ أو المشاهد غير العربي أو المسلم التصورات الإسلامية والعقائد الإسلامية بدون أن يسمع هو كلمة الإسلام في المسرحية. نتيجة لذلك إن القاري يتأثر بالمضمون والتصورات التي تحمل المسرحية في طيّها. وهذه هي بعض المسرحيات التي كانت بعيدة الصلة بتاريخ العرب والإسلام والمسلمين غير أن المؤلف قدمها بمهارته التامة في قوالب تتفق مع التصور الإسلامي عن الإنسان والحياة والكون. فهذه الآيات القرآنية التي أتى بها المؤلف في البداية تشير إلى موضوع المسرحية وقضيتها وإلى الفكرة التي كان المؤلف يريد أن يطرحها في ذلك العمل وهكذا عبّر عن فكره الإسلامي والمضمون الإسلامي في مسرحياته كلها.

وكذلك ألف باكثير مسرحيته "السلسلة والغفران" وهي مسرحية اجتماعية فقد جاء في بدايتها بهذه الآيات الكريمة ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين O الذين ينفقون في السرّاء والضرّاء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين O والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلاّ الله ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمونO﴾[١٣] قد توضّح هذه الآيات أحداث المسرحية توضيحا كاملا

وتنطبق على بطل المسرحية وهو عبد التواب كل الانطباق، فالصفات المذكورة في الآيات توجد في شخصيته بكل وضاحة وصراحة. وبالإضافة إلى أن ثقافة باكثير الإسلامية تبرز خلال أحداث المسرحية بروزا واضحا حيث يهتم فيها بالتراث الإسلامي والقضايا الإسلامية كعادته في إنتاجه الأدبي، فنراه يحاول بألا يجتمع الرجال والنساء معا إلا من كانت بينهم صلة رحم وكان أحدهم محرما للآخر. وقد يطرح باكثير في هذه المسرحية بعض الأحاديث النبوية والمسائل الفقهية على لسان القاضي "بكار"، وكل هذا يدل على ثقافة باكثير الدينية وولوعه بعرض القضايا الإسلامية في دائرة فنية. وهذا هو الأسلوب الخاص الذي يهتم به باكثير في أكثر مسرحياته والذي يتضح به فكره الإسلامي واضحا تامّا. وهكذا يظهر من هذا الحوار التالي الذي يجري بين القاضي "بكار" وعبد التواب وعبد الجواد على موضوع توريث أسامة هل يرث هو أم لا؟

بكار: هو ابنك يا عبد التواب ترثه ويرثك.

عبد الجواد: (في إنكار) يرثه؟

بكار: نعم. قال النبي ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

عبد التواب: (فرحا كأنه لا يصدق ما سمع) فإذا قال يا سيدي؟

بكار: الولد للفراش وللعاهر الحجر.[١٤]

وكانت نتيجة التزام بهذا الفكر الإسلامي عند باكثير أنه تكلّم في أثناء مسرحياته على العقائد الرئيسية للإسلام، ومن الأمثال: القضاء والقدر، والإيمان بالله، ونظرية عدم الظلم من الله وما إلى ذلك.

ومن أهم تأليف باكثير مسرحية " **الشيماء شادية الإسلام** " ألفها سنة ١٩٦٩م وصاغها على أسلوب الأوبريت حيث يوجد فيها امتزاج بين الشعر والنثر. وقد تعد هذه المسرحية من أشهر الأفلام في تاريخ السينما التي تناولت السيرة النبوية. وتدور أحداث هذه المسرحية حول أسرة "حليمة السعدية" التي تشتمل على عدة أفراد، ومنهم "الحارث" رب الأسرة، و"حليمة السعدية" مرضعة النبي و"عبد الله" أخو الرسول من الرضاعة، و"الشيماء" أخته من الرضاعة وهي الشخصية الرئيسية في هذه المسرحية،

و"بجاد" زوج الشيماء. قدّم المؤلف السيرة النبوية من خلال "الشيماء " وهي بطلة المسرحية بحيث أبرز دور المرأة في خدمات الإسلام ومساعدته ونشره والجهاد في سبيل الله.

تلقي هذه المسرحية الضوء على الأحداث والوقائع والحروب قبل الهجرة وما بعدها وعلى أهم المواقف من حياة الرسول، وولادة النبي ﷺ وإرضاعه في بني سعد، وشق صدره، وحنّو جده عبد المطلب عليه، وأبي طالب به من بعده، وكذلك تحدثت عن وفاة أمه، وسفره إلى الشام لتجارة، وزواج النبي ﷺ من السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، ثم البعثة والدعوة إلى الله وكيد كفار قريش وما إلى ذلك. وكذلك صوّرت هذه المسرحية بعض غزوات النبي ﷺ ودور أصحابه فيها من أمثال غزوة بدر، وأحد، وأحزاب، وصلح الحديبية وغزوة خيبر، وحنين، وفتح مكة، وإرسال رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والحكام الكبار وما إلى ذلك.[١٥] وكذلك تلقى الضوء على نظام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة في شكل فني واضح .امتد زمان هذه المسرحية منذ ولادة النبي إلى ما قبل وفاته، وأما مكانها فهي مكة المكرمة، والمدينة المنورة والطائف وما جاورها من بلاد وأماكن. وقد امتازت هذه المسرحية بأن باكثير اختار بقعة جغرافية بعيدة للمسرحية وهي بادية بنى سعد مجتنبا بمهارته الفنية التامة عن تمثيل شخصية الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم الذي لا يجوز في شريعتنا الإسلامية. فشخصية الرسول ﷺ موجودة في المسرحية كلها خلال دوران الأحداث حولها غير أن الرسول ﷺ لا يظهر في المشاهد وإنما ينقل لنا أقواله أبو طلحة ﷺ وهو صحابي الرسول ﷺ ويصف حالته.[١٦]وهكذا نجحت هذه المسرحية في أن يقدم لنا السيرة النبوية، بما فيها من آمال وآلام ودماء وأشلاء وانتصارات بطريقة حيث اتّضحت أمامنا سيرة الرسول المطهرة والغزوات المختلفة التي شارك فيها نبينا الكريم ﷺ اتّضاحا كاملا.

ومن البحث السابق والأمثال المذكورة يتضح لنا فكر باكثير اتضاحا كاملا حيث نعرف مدى تأثيره بفكر القرآن الكريم والأحاديث النبوية وتعبيراتهم، فهذا الطابع

الإسلامي الخاص نجده في جميع مسرحياته بل في كل صفحة وكل سطر منها. والشيئ الذي يميّزه عن غيره من أدباء المسرحية وغيرها ويمنحه الفضيلة والدرجة الممتازة هو أنه لا يدع فكره الإسلامي أن يجور على فنية المسرحية وعناصرها اللازمة. فإذا كان في إنتاجه كله داعيا إلى الفكر الإسلامي كان كذلك داعيا إلى التزام بالفن وأصوله، وقد يتضح هذا اتضاحا كاملا من العبارة التالية حيث يقول هو بنفسه" ولكن ينبغي لمثل هذا الكاتب المسرحي ألا ينسى وهو يتلهب حماسة للدعوة التي يدعو إليها، أن المسرحية عمل فني قبل كل شيء، فيجب ألا يجور على فنيتها بحال من الأحوال. بل ينبغي أن يحرص الحرص كله على سلامة عمله من الوجهة الفنية، وأن يدرك أن ذلك هو السبب الوحيد لجعل الرسالة التي ينطوي عليها بليغة التأثير في الجمهور الذي يشاهده"١٧وبهذا كله نستطيع أن نقول إن باكثير كان عالما ومفكرا إسلاميا في جانب كونه كاتبا كبيرا. وكان في آثاره القصصية الإسلامية ورواياته الإسلامية صاحب فكرة وصاحب رسالة يدعو إليها ويحث على خدمتها بغير أن يخاف من لومة لائم. إنه لم يزحزح عن فكره هذا حتى بعد التحاقه بقسم اللغة الإنجليزية في جامعة القاهرة حيث اطّلع على الثقافية الغربية والإنجليزية وتأثر بها غير أنها لم تبعده عن ثقافته الإسلامية والعربية ولم تصرفه عن الالتزام بالأقدار الإسلامية وقيمها بل إنه ظل متحمسا لها ومدافعا عنها بفنه وأدبه.

والواقع أن علي أحمد باكثير كان أديبا وحيدا بين معاصريه الذي سار طوال حياته الأدبية على الالتزام بالقيم الدينية والمبادئ الإسلامية ولا يقع فيها بالإفراط والتفريط. فقد اتسمت معظم مسرحياته بالطابع الإسلامي والفكر الإسلامي حيث نجح إلى حد كبير في أن يبرز لنا في إنتاجه المسرحي المبادئ الإسلامية وأصولها والقضايا الاجتماعية محافظا كما اعترف محمد مندور أيضا عن هذه الفكرة. وهذا الالتزام بالقيم الإسلامية إمّا كان مفقودا وإمّا يوجد في شكل قليل عند معاصريه. وكانت نتيجة هذه الرؤية الفكرية الإسلامية والالتزام بها في آثار باكثير وإنتاجه المسرحي، كان يصدّر كل عمل من أعماله بآيات قرآنية يجعلها شعارا للعمل مشيرا إلى القضية التي

يعالجها١٨.وقد تبدو هذه الرؤية الإسلامية واضحة في مسرحياته ورواياته وقصصه القصيرة كلها. هناك نقدم رأى الأديب البارع نجيب محفوظ حيث أنه يعترف منزلة باكثير ودوره في مجال المسرحية فقال:

"...لقد كان على أحمد باكثير على ثقافة عالية وقد كنت من أشد المعجبين بأدب علي أحمد باكثير برغم أنه كان كاتبا مسرحيا تخصص في المسرحيات التاريخية وأنا روائي ملت كثيرا إلى المعاصرة والواقعية، على أن باكثير لم يقتصر إنتاجه الأدبي على المسرح وحده، وإنما كان شاعرا من الدرجة الأولى اعترف له بها العقاد والمازني وغيرهما". [١٩]

وهذا رأي عبقرية من عباقرة الأدب العربي الحديث في حق باكثير وإنتاجه الأدبي والاعتراف بمنزلته ومكانته وقيمة إنتاجه بين معاصريه. وبعد هذا الاستعراض الوجيز بالنسبة إلى منزلة باكثير وفكره يتضح هذا أن علي أحمد باكثير كان في طليعة أولئك الأدباء الذين تملّكوا على فن المسرح جودة وإنتاجا ورسالة دينية وإنسانية. والواقع أنه كان متأثرا بأسلوب القرآن الكريم والحديث النبوي والتراث الإسلامي إلى حد كبير ولذلك وجدناه كان يلجأ في أكثر الأحيان إلى اللغة القرآنية واللغة النبوية وتعبيراتهما ومفرداتهما، والتركيب الإسلامية التي لها دلالات إسلامية واضحة مثلا الحمد، الاستغفار، الآخرة، القضاء والقدر وغيرها. حتى نجده يدير الحوار بين شخصيات المسرحية بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

هذه هي أهم النتائج والخصائص التي حصلت عليها خلال هذه الدراسة والبحث. ومن الحقيقة أن علي أحمد باكثير كان في سياق فنه وأدبه من الأفذاذ القلائل الذين ركزوا عناية فكرهم تجاه الأمة المسلمة ونجاحها وإثراء فكرتها بالذي يبتنى عليه صيانتها من العداوة والعدوان. وقد خدم بعبقريته أدب الحياة خدمة ملحوظة شاملة حيث فاق في العلم والأدب بالامتياز وعلا في الدوائر الأدبية بالقبول والاعتبار.

الهوامش:

١. د. عبد الحكيم الزبيدي: علي أحمد باكثير بمناسبة مرور قرن على مولده، (مجلة الرافد)، دار الثقافة والأعلام-حكومة الشارقة- سنة ٢٠١٠م، ص: ٢٤٣-٢٥٢.

٢. د. محمد أبوبكر حميد: علي أحمد باكثير في مرآة عصره، مكتبة مصر، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١١٢.

٣ د . محمد أبوبكر حميد : علي أحمد باكثير في مرآة عصره، ص٩٩

٤ المرجع السابق، ص ١١٤.

٥ . د. محمد مندور: في المسرح المصري المعاصر، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ١٩٧١م، ص ١٠٥.

٦ علي أحمد باكثير: همام في بلاد الأحقاف، مكتبة مصر، ٣ شارع كامل صدقي-الفجالة.ص٣١

٧ سورة النساء الآية ١٦٤.

٨ د. عبد الحكيم الزبيدي: علي أحمد باكثير بمناسبة مرور قرن على مولده، (مجلة الرافد)، ص١٢٠.

٩ سورة البقرة الآية ١٦٨-١٦٩

١٠ د. علي الراعي: المسرح في الوطن العربي، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلات الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت،١٩٩٩م.ص١٣٦-١٣٧.

١١. علي أحمد باكثير: هاروت وماروت، مكتبة مصر، ٣ شارع كامل صدقي-الفجالة.ص٥٧.

١٢. سورة الفاطر الآية ٢٨.

١٣. سورة آل عمران الآيات ١٣٣-١٣٥.

١٤. علي أحمد باكثير : ا لسلسلة والغفران، مكتبة مصر، ٣ شارع كامل صدقي-الفجالة.ص١٣٢-١٣٣.

١٥. عبد الله محمود الطنطاوي: أضواء على مسرح باكثير التاريخي (٢) موقع رابطة أدباء الشام.

١٦. عبد الحكيم الزبيدي: جهود السينما في تقريب السيرة النبوية، فيلم (الشيماء) نموذجا مقالة منشورة في موقع باكثير، ص١
١٧. علي أحمد باكثير : فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية، مكتبة مصر، ٣شارع كامل صدقي -الفجالة ص٤٠.
١٨. د. عصام بهي : مسرح باكثير الاجتماعي، منشورات دائرة الثقافة والإعلام- الشارقة، ٢٠٠٠م.ص٢٥.
١٩. د. عبد الحكيم الزبيدي: علي أحمد باكثير بمناسبة مرور قرن على مولده، (مجلة الرافد)، ص٥٤.
٢٠. أنظر أيضا www.bakatheer.com